

## العودة المتخيلة - رؤيا

## ضياء العزاوي\*

## العودة المتأخرة لفادي أبو صلاح

**كلما** تطلعت إلى الحدود، تأتيني غصّة جدّي وهو يتحدث بصوت متهدج عن الأرض التي أجبر على تركها؛ عن تلك الجنة، عن نور شمسها، عن الحقل الذي كان يحب الإغفاء تحت شجرة زيتونته المعمّرة. ومثل كل فلاح فالأرض جزء منه؛ بسببها عرف تغيرات الفصول وتبدلاتها؛ عرف حركة النجوم وما ترسمه من طرق للرحالة ليلاً؛ عرف هجرة الطيور، أسماءها وعاداتها. بوصوله إلى المخيم فقد كل شيء، ومثلما تسقط في الخريف الثمار عن الشجر، سقطت كل أحلامه، ولم يعد معه غير صوت خفي يتردد بين شفّتيه. إنه النداء الغامض للعودة.

تذكّرت جدّي هذا الصباح فخجلت من نفسي. أعرف أنني معوّق جسدياً، لكنني ما زلت أتنفس هواء غرّه. في كل مكان أرى كل فرد يلتحق من دون تردد بالحشود وهي ترسم حلم عودتها المتأخرة.

أحياناً تهب الرياح لتحجب بفعل حرائق إطارات السيارات بنادق القناصة، وبين الحين والآخر يرسم الدخان الأبيض لقنابل الغاز تعرجات بيضاء تقلل من قتامة الدخان.

هنا يتراخض الموت بين الجموع، أطفالاً، نساء، رجالاً متعبين، يمازح البعض منهم، لكنه سرعان ما يستثأر بواحد منهم.

أطلع بخوف لمجرد احتمال أن يقترب مني - أن تأتي تلك اللحظة - ما أثقل هذا الكرسي وما أقسى خطواته في التراب.

يطفح وجهي بالخجل المرّ، وترعف بالدم عيني فأضرب عرض الحائط بتردي وأصرخ: هللوا لجرح الأرض مضمداً بدماء الشهداء، للأطفال يتراخضون بين النيران، للنسوة مزغردة للجموع.

تطلعت إلى البلاد البعيدة؛ إلى قرية جدّي كما يرنو عاشق كبلته القيود. اقترب الموت مني، كانت عيونه جمرًا وكفاه ناراً. ■



